

علمتني الحياة..

الكاتب : محمد مصطفى حمام

التاريخ : 8 فبراير 2015 م

المشاهدات : 7827



عَلَّمَتْنِي الْحَيَاةُ أَنْ أَتَلَقَّى

كُلَّ أَلْوَانِهَا رِضًا وَقَبُولًا

وَرَأَيْتُ الرِّضَا يَخَفِّفُ أَثْقَالِي

وَيُلْقِي عَلَى الْمَآسِي سُدُولًا

وَالَّذِي أُلْهِمَ الرِّضَا لَا تَرَاهُ

أَبَدَ الدَّهْرِ حَاسِدًا أَوْ عَذُولًا

أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ مَا كَتَبَ اللَّهُ

وَمُزَجَّ إِلَيْهِ حَمْدًا جَزِيلًا

أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ

لئِيْمًا أَلْفَيْتُهُ أَوْ نَبِيلًا

لَسْتُ أَخْشَى مِنَ اللَّئِيمِ أَذَاهُ

لَا، وَلَنْ أَسْأَلَ النَّبِيلَ فَتِيلًا

فَسَحَّ اللَّهُ فِي فُؤَادِي فَلَا أَرْضَى

مِنَ الْحَبِّ وَالْوَدَادِ بَدِيلًا

فِي فُؤَادِي لِكُلِّ ضَيْفٍ مَكَانَ

فَكُنْ الضَّيْفَ مُنْسَأً أَوْ ثَقِيلًا

ضَلُّ مَنْ يَحْسِبُ الرِّضَا عَنْ هَوَانٍ

أَوْ يَرَاهُ عَلَى النَّفَاقِ دَلِيلًا

فَالرِّضَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَسْعِدْ

بها في العباد إلا القليل

والرضا آية البراءة والإيمان

بالله ناصراً ووكيلاً

علمتني الحياة أن لها طعمين

مُراً، وسائغاً معسولاً

فتعوّدتُ حالتيها قريراً

وألفتُ التغيير والتبديلاً

أيها الناس كُلُّنا شاربُ الكأسين

إنْ علقماً وإنْ سلسبيلاً

نحن كالرّوضِ نُضرةٌ ودُّبُولاً

نحن كالنَّجمِ مَطْلَعاً وأُفُولاً

نحن كالريحِ ثورةٌ وسكونا

نحن كالمُزنِ مُمسكاً وهطولاً

نحن كالظنِّ صادقاً وكذوباً

نحن كالحظِّ منصفاً وخذولاً

قد تسرّي الحياةُ عني فتبدي

سخریاتِ الوری قَبِيلاً قَبِيلاً

فأراها مواعظاً ودروساً

ويراها سواي خُطْباً جليلاً

أمعن الناس في مخادعة النفسِ

وضلُّوا بصائرًا وعقولا

عبدوا الجاه والنُّضار وعینا

من عیون المَهَا وخداً أسیلا

الأديب الضعيف جاهاً ومالاً

ليس إلا مثرثراً مخبولاً

والعتلُّ القويُّ جاهاً ومالاً

هو أهدى هُدى وأقومُ قیلا

وإذا غادة تجلّت عليهم

خشعوا أو تبتّلوا تبتيلاً

وتلّوا سورة الهيام وغنّوها

وعافوا القرآن والإنجيلاً

لا يريدون أجلاً من ثواب الله

إنَّ الإنسان كان عجولاً

فتنة عمّت المدينة والقرية

لَمْ تَغْفِ فِتْيَةَ أَوْ كَهُولًا

وَإِذَا مَا انْبَرَيْتَ لِلْوَعظِ قَالُوا

لَسْتَ رَبًّا وَلَا بُعِثْتَ رَسُولًا

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْدِينِ

وَلَا يَرْهَبُ الْحِسَابَ الثَّقِيلَا

أَكْثَرُ النَّاسِ يَحْكُمُونَ عَلَى النَّاسِ

وَهِيَاهَاتُ أَنْ يَكُونُوا عَدُولًا

فَلَكُمْ لَقَبُوا الْبَخِيلَ كَرِيمَا

وَلَكُمْ لَقَبُوا الْكَرِيمَ بَخِيلَا

وَلَكُمْ أَعْطُوا الْمَلْحَ فَأَغْنُوا

وَلَكُمْ أَهْمَلُوا الْعَفِيفَ الْخَجُولَا

رَبُّ عِذْرَاءٍ حَرَّةٍ وَصَمُوهَا

وَبَغْيٍ قَدْ صَوَّرُوهَا بِتُولَا

وَقَطِيعِ الْيَدَيْنِ ظِلْمًا وَلَصِ

أَشْبَعَ النَّاسَ كَفَّهُ تَقْبِيلَا

وَسَجِينٍ صَبُّوا عَلَيْهِ نَكَالَا

وَسَجِينٍ مَدَّلَّ تَدْلِيلَا

جُلُّ مَنْ قَلَّدَ الْفَرْنَجَةَ مَنَا

قَدْ أَسَاءَ التَّقْلِيدَ وَالتَّمَثِيلَا

فَأَخَذْنَا الْخَبِيثَ مِنْهُمْ وَلَمْ نَقِ

بَسِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا قَلِيلَا

يَوْمَ سَنَّ الْفَرْنَجَ كَذِبَةَ إِبْرِيلَ

غَدَا كُلُّ عُمْرِنَا إِبْرِيلَا

نَشْرُوا الرِّجْسَ مَجْمَلًا فَنَشْرِنَاهُ

كِتَابًا مَفْصَلًا تَفْصِيلَا

عَلِمْتَنِي الْحَيَاةَ أَنَّ الْهَوَى سَيْلٌ

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرُدُّ السَّيُولَا

ثُمَّ قَالَتْ: وَالْخَيْرُ فِي الْكُونِ بِاقْبَلِ

أَرَى الْخَيْرَ فِيهِ أَصْلًا أَصِيلَا

إِنْ تَرِ الشَّرَّ مُسْتَفِيزًا فَهَوِّنِ

لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْيَتُوسَ الْمَلُولَا

وَيَطُولُ الصَّرَاعَ بَيْنَ النَّقِيزَيْنِ

وَيَطْوِي الزَّمَانَ جِيَالًا فَجِيَالَا

وتظللُ الأيامُ تعرضُ لونيها
على الناسِ بُكرةً وأصيلاً
فذلِيلُ بالأمس صار عزيزاً
وعزیزُ بالأمس صار ذليلاً
ولقد ينهضُ العليلُ سليماً
ولقد يسقطُ السليمُ عليلاً
ربَّ جوعانٍ يشتهي فسحةَ العمرِ
وشبعانٍ يستحثُّ الرحيلَ
وتظللُ الأرحامُ تدفعُ قابيلاً
فيُردي ببغيه هابيلاً
ونشيدُ السلام يتلوه سقّاحون
سنُّوا الخراب والتقتيلاً
وحقوق الإنسان لوحة رسّامٍ
أجاد التزوير والتضليلَ
صورٌ ما سرحتُ بالعين فيها
وبفكري إلا خشيتُ الذهولَ

قال صبحي: نراك تشكو جروحاً
أين لحن الرضا رخيماً جميلاً
قلتُ أما جروح نفسي فقد عودتُها
بلَسَمَ الرضا لتزولا
غيرَ أن السكوتَ عن جرح قومي
ليس إلا التقاعسَ المرذولَ
لستُ أرضى لأمة أنبتتني
خُلُقاً شائهاً وقَدراً ضئيلاً
لستُ أرضى تحاسداً أو شقاقاً
لستُ أرضى تخاذلاً أو خمولا
أنا أبغي لها الكرامة والمجدَ
وسيفاً على العدا مسلولا
علمتني الحياة أني إن عشتُ
لنفسِي أعشُ حقيراً هزيباً
علمتني الحياة أني مهما
أتعلَّم فلا أزالُ جهولاً

